التّنظيمات العثمانيّة، وأثرها على نشوء المسرح في فلسطين حتّى نهاية الحرب العالميّة الأولى (1250-1337هـ/ 1834-1918م): دراسة تأصيليّة

مشهور الحبّازي[1]

A Historical Study: The Ottoman Decrees and its Impact on the Emergence of Theatre in Palestine till the end of the First World War (1337-1250 H/ 1918-1834 AC)

Mashhour Al-Habbazi

Abstract

The decrees issued in the third Hijri Century? The 19th century covered most society aspects in the Ottoman state aiming at developing and modernize society and spread equality among its multi ethnicities? sects and races.

Several reasons made me choose to investigate this subject. Among them is that, to the best of my knowledge, there are no independent previous studies on this topic. Also, there is lack in the consensus in what is written in Palestinian Encyclopedia about theatre in Palestine.

The significance of this study lies in its being an up to date one that investigates the impact of the Ottoman laws and regulations pertaining to municipal councils, societies, education and the press on the emergence of the Palestinian theater.

The study aimed to identify the birth of the Palestinian theater, and to show the impact of the Ottoman organizations on this phenomenon.

As for the previous studies, the researcher did not come across any study directly related to the role of the Ottoman laws and regulations in the emergence of the Palestinian theater.

[1] كلية الآداب، جامعة القدس- القدس الشريف.

The study follows the integrative methodology, in which the researcher applies the historical, descriptive, investigative, and analytical approaches.

However, the decrees did not have direct impact on the establishment of theater in Palestine but indirect one mostly through the decrees related municipalities establishment? church affiliated schools? societies and clubs? newspapers and magazines permits issuance,

In this study, the researcher will address the emergence of theatre in Palestine at the following levels.

1. The stages of the decrees
2. The ottoman decrees impacted the emergence of theater.
3. The establishment of the Palestinian theater
4. The schools' theater
5. Theater in societies and literary clubs
6. The public theater
7. Authors of play and theater fiction
8. Plays genera.

The study concluded that the beginning of theater in Palestine was in (1834 AC-1250 H) when a group of children conducted a religious play in a roman catholic church in Bethlehem. The researcher recommends reviewing the Palestinian Encyclopedia on the topic.

Key words: ottoman -Tanzimat- Palestine-schools- theatre

الملخّص

شملت التّنظيمات العثمانيّة -التي صدرت في القرن الثالث عشر الهجريّ / التّاسع عشر الميلاديّ على ثلاث مراحل مهمّة-أغلب جوانب حياة المجتمع في الدولة العثمانيّة، وهدفت -في ظاهرها- إلى تطوير المجتمع وتحديثه، وإشاعة المساواة بين فئاته، وطوائفه، وأعراقه المتنوّعة، والكثيرة.

ولم يكن تأثير تلك التّنظيمات مباشرًا على نشوء المسرح الفلسطينيّ -موضوع هذا البحث-بل كان تأثيرها غير مباشر من خلال قوانين التّنظيمات المتعلّقة بالمجالس البلديّة، والمدارس الخاصة بالطّوائف الدينيّة، وتأسيس الجمعيّات والنواديّ، وترخيص الصحف والمجلات، وغيرها من جوانب

الحياة. وقد دفعني إلى دراسة هذا الموضوع أسباب عديدة، أهمّها: عدم وجود-فيما أعلم-دراسات علميّة مُستقلّة عن هذا الموضوع، وانعدام التوافق فيما كُتبَ حول المسرح الفلسطينيّ في الموسوعة الفلسطينيّة.

وتنبع أهميّة هذه الدّراسة من جدَّتها، حيث بحثت أثر التّنظيمات العثمانيّة الخاصّة بالمجالس البلديّة، والجمعيّات، والتّعليم، والصّحافة على ظهور المسرح الفلسطينيّ. وقد هدفت الدّراسة إلى معرفة بداية ظهور المسرح الفلسطينيّ، وبيان أثر التّنظيمات العثمانيّة في ظهوره.

وبالنّسبة للدّراسات السّابقة؛ فلم أجد-فيما بحثت فيه-أيّة دراسة ذات صلة مباشرة بدور التّنظيمات العثمانيّة في نشوء المسرح الفلسطينيّ. أمّا المنهج الّذي اعتمدته في هذه الدّراسة؛ فهو المنهج التّكامليّ، حيث أفدتُ من المنهج التّاريخيّ، والوصفيّ، والاستقصائيّ، والتّحليليّ.

في هذا البحث سأدرس أثر التّنظيمات على نشوء المسرح في فلسطين، وتطوّره ضمن المحاور التالية:

1. التّنظيمات العثمانيّة، ومراحلها.
2. التّنظيمات العثمانيّة المؤثّرة في نشوء المسرح في فلسطين.
3. نشأة المسرح الفلسطينيّ.
4. المسرح المدرسيّ.
5. المسرح في الجمعيّات والنوادي الأدبيّة.
6. المسرح العام.
7. كتّاب الرّوايات التمثيليّة والمسرحيّات.
8. أجناس المسرحيّات وموضوعاتها.

وقد خلصت في هذا البحث إلى أنّ بداية المسرح في فلسطين كانت سنة (1250هـ/ 1834م)، حيث قدّم مجموعة من الأطفال مسرحيّة دينيّة في أحد أديرة الرّوم الكاثوليك في مدينة بيت لحم، وأوصيت بضرورة مراجعة ما كتب في الموسوعة الفلسطينيّة حول المسرح الفلسطينيّ.

الكلمات المفتاحيّة: التّنظيمات العثمانيّة، المسرح، الفلسطينيّ، المدرسيّ.

أولًا: التّنظيمات العثمانيّة

أسباب عديدة دفعت الدولة العثمانيّة إلى إصدار ما عرف بالتّنظيمات، وهي مجموعة قوانين وأنظمة أصدرها السّلاطين العثمانيّون بهدف تحديث مؤسّسات الدولة، وتطوير قوانينها، ورفاهيّة رعاياها، وبالتالي ترقية الدولة العثمانيّة إلى مصاف الدول الأوروبيّة الحديثة.

وعلى الرّغم من اختلاف الباحثين حول تحديد تلك الأسباب إلّا أنّه يمكن إجمالها في الآتي:

1. ضعف الدولة العثمانيّة عسكريًّا وسياسيًّا واقتصاديًّا، وذلك جرّاء ما حلّ بها من هزائم عسكريّة في حروبها المتعاقبة مع الدول الأجنبيّة (الأوروبيّة بعامّة وروسيا بخاصّة)، منذ نهاية القرن الثاني عشر الهجريّ/ الثامن عشر الميلاديّ، وحركات التمرّد التي شهدتها الولايات العثمانيّة المختلفة. "بناءً على طروء الكوارث المُتعاقبة والأسباب المتنوّعة، فتبدّلت قوّتها بالضعف وثروتها بالفقر[2]".
2. زيادة النفوذ الأجنبيّ في مؤسّسات الدولة العثمانيّة، وتدهور نظام الحكم في القرن الثاني عشر الهجريّ/ الثامن عشر الميلاديّ، حيث برز اتّجاه جديد في الدولة العثمانيّة يدعو إلى ضرورة إصلاح الدولة، ونظام الحكم في ولاياتها[3].
3. إرضاء الدول الأوروبيّة المسيحيّة منفردة، أو مجتمعة جرّاء مساعدتها للدولة العثمانيّة في حلّ مشاكلها الخارجيّة والداخليّة، فكان التنظيم الأول المعروف بـ"خط شريف كلخانة" أصدره السّلطان عبد المجيد الأول سنة (1255هـ/1839م) ثمنًا دفعته الدولة لبريطانيا وغيرها من الدول التي ساعدتها في تسوية نزاعها مع محمد علي باشا، والتنظيم الثاني المعروف بـ"خط همايوني" أصدره السّلطان عبد المجيد الأول سنة (1272هـ/ 1856م) إرضاء لفرنسا ضد روسيا، والثالث المعروف بالمشروطيّة أو الدستور العثمانيّ زمن

[2] محمد فريد بك المحامي، تاريخ الدولة العليّة العثمانيّة، ص254.

[3] ينظر: محمد أنيس، الدولة العثمانيّة والشرق العربيّ 1514 – 1914م، ص213، علي حسون، تاريخ الدولة العثمانيّة وعلاقاتها الخارجية، ص185.

السلطان عبد الحميد الثاني سنة (1293 هـ/1876م) إرضاء لمجموع الدول الأوروبيّة ضد روسيا[4].

وقد كان للتنظيمات العثمانيّة أهداف عديدة ومتنوعة، وذلك وفق الجهة الساعية إليها، ففي حين كان السلاطين يهدفون إلى إقناع الدول الاستعماريّة الأوروبيّة بوجود إصلاح في الدولة، وبالتالي فالدولة صالحة للبقاء، وعلى تلك الدول رفع يدها عنها، ووقف التدخل في شؤونها تحت شعار حماية العناصر المسيحيّة المضطهدة، ثم الوقوف في وجه الدول الأوروبيّة الاستعماريّة، والقضاء على تمرّد رعايا الدولة المسيحيّة الموصى بهم من قبل تلك الدول.

مقابل ذلك كانت الدول الاستعماريّة الأوروبيّة وروسيا تسعى إلى اتّخاذ الإصلاحات التي كانت توحي بها، وتفرضها بطرق عديدة على السّلاطين من أجل زيادة تدّخلها في شؤون الدولة العثمانيّة، والحصول على امتيازات خاصة في العمل في ولايات الدولة، وبين رعاياها.

وقد أيقنت الدول الاستعماريّة أنّ هذه التدخلات المُعطاة اسم الاصلاحات ما هي إلّا أفضل وسيلة للسّيطرة على الدولة العثمانيّة تدريجيًّا، والقضاء على دولة الخلافة الإسلاميّة، فكان أن ركّزت على إخراج الدولة من دينها كنظام حكم، ومساواة رعاياها المسلمين بغير المسلمين، وحريّة تملُّك الأراضي والعقارات، وحريّة التّعلّم، ودخول الإرساليات التبشيريّة في أراضي الدولة العثمانيّة، وحقّها في افتتاح مدارس ونوادٍ وجمعيات متنوّعة[5].

[4] ينظر: محمد كرد علي، خطط الشام، ج3 ص65، 78، 88، 96، سهيل صابان، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانيّة التاريخية، ص101، عبد الكريم رافق، فلسطين في عهد العثمانيّين من مطلع القرن الثالث عشر الهجريّ/ التاسع عشر الميلاديّ إلى العام 1336هـ/1918م: في الموسوعة الفلسطينيّة، القسم الثاني (الدراسات الخاصة)، المجلد الثاني (الدراسات التاريخية)، ص858-862.

[5] ينظر: محمد أنيس، الدولة العثمانيّة والشرق العربيّ، ص213، علي حسون، تاريخ الدولة العثمانيّة وعلاقاتها الخارجية، ص185، أكمل الدين إحسان أوغلي، الدولة العثمانيّة: تاريخ وحضارة، 102/2.

مراحل التّنظيمات:

بدأ التفكير في إحداث إصلاحات في هيكل الدولة العثمانيّة منذ عهد السّلطان مصطفى الثالث، الذي رأى في الهزائم التي لحقت بالإنكشاريّة [6] عاملاً مهمًّا في إصلاح الجيش للحفاظ على قوّة الدولة، وقدرتها على مواجهة أطماع روسيا والدول الأوروبيّة، لكنّ السّلطان مصطفى تجنّب إصلاح الإنكشاريّة، وبدأ بإصلاح البحريّة والمدفعيّة بمساعدة البارون (دي توت) الفرنسيّ. وكذلك فعل السّلطان سليم الثّالث بداية القرن الثّالث عشر الهجريّ /نهاية القرن الثّامن عشر الميلاديّ، فكوّن فرقة مشاة، ولم يمس الإنكشاريّة التي تمكّن زعماؤها من استمالة علماء الدّين المسلمين إلى جانبهم، فحرّضوا الشّعب ضد الاصلاحات، وأعلن شيخ الإسلام عزل السّلطان سنة (1221هـ/1806م)، فاعتزل السّلطان حقنًا لدماء المسلمين. ولمّا تولى السّلطان محمود الثاني الحكم تمكن سنة (1242هـ/1826م) من القضاء على الإنكشاريّة قضاء تامًّا، فيما عرف باسم "الواقعة الخيريّة" تفاؤلًا بالخير القادم بعد القضاء على الإنكشاريّة، واتّخذ عدّة إصلاحات إداريّة لكنّ ذلك لم يؤد إلى تغيير جذريّ في الدّولة، ولم يرض الدول الأوروبيّة[7]. واستمرّت محاولات إصلاح الدولة العثمانيّة، فكان أن صدر في أول عهد السّلطان عبد المجيد التّنظيمات الإصلاحيّة الأساسيّة بخط شريف (همايوني)[8] عرفت

[6] الإنكشاريّة: الجيش الجديد، وأوّل مَنْ أطلق الاسم هو الدّرويش حاج بكتاش ولي، وهي فيالق عسكريّة تكوّنت من رعايا الدّولة الّذين تمّ جمعهم ما بين السادسة والخامسة عشرة من عمرهم من مختلف الولايات العثمانيّة في أوروبا، وقيل: هم من أبناء المسلمين، وقد حلّهم السّلطان محمود الثّاني سنة (1242هـ/1826هـ). انظر: سهيل صابان، المعجم الموسوعي، ص 41.

[7] ينظر: محمد أنيس، الدولة العثمانيّة والشرق العربي، ص214-216، علي حسون، تاريخ الدولة العثمانيّة وعلاقاتها الخارجية، ص185؛ محمد كرد علي، خطط الشام، ج3ص27-28، حسان حلاّق، تاريخ الشعوب الإسلاميّة الحديث والمعاصر، ص39-36.

[8] همايوني: كلمة فارسيّة الأصل مكوّنة من مقطعين: هَما وتعني: اسم طائر كان يُعتقد أنّه إذا طار ووقع ظلّه على رأس رجل أصبح ملكًا. ويون: وهي أداة النسبة. وتعني ملكي أو سلطانيّ، وتُطلق على ما يُنسب إلى السلاطين للتعظيم والتّفخيم. انظر: سهيل صابان، المعجم الموسوعي، ص 152.

باسم منشور (الكلخانة)[9] نسبة إلى القصر الذي قرئ فيه ذلك الخط (الهمايونيّ)، وذلك في يوم الأحد (26 شعبان 1255هـ/ 1839/11/3م). وتضمن مبادئ أساسيّة مهمة في الإصلاحات منها: تنازل السّلطان عن جزء من سلطته لصالح مجلس الأحكام القضائيّة، الّذي أصبح من حقّه سنّ القوانين، والمساواة بين أفراد رعايا الدولة أمام القانون، وإبطال المحسوبيّة والمتاجرة بالوظائف، والرّشوة، وعدم معاقبة أحد من دون محاكمة علنيّة، وتحديد مدّة التّجنيد الإجباريّ، وضمان طريقة عادلة لتوزيع الضّرائب، وجبايتها، وصيانة حياة وشرف وممتلكات الرّعايا[10].

انشغل السّلطان عن تحقيق هذه الاصلاحات بسبب الخلاف بين روسيا وفرنسا حول حقوق حماية رعاياهما في أراضي الدولة العثمانيّة، وحقوق إدارة كنيستي "القمامة" (القيامة) في القدس، و"المهد" في بيت لحم، وما تبع ذلك من حرب بين الدولة العثمانيّة وروسيا عرفت بحرب القرم، ثم لمّا تمّ تسوية النّزاع أصدر السّلطان (فرمانًا)[11] جديدًا بالإصلاحات المراد تطبيقها في الدولة في يوم الإثنين (12 جمادى الآخرة 1272هـ/ 1856/2/18م)، ونصّت الإصلاحات على: إقرار كافة المبادئ الواردة في الخطّ (الهايونيّ) السابق، ومبدأ المساواة القانونيّة والمدنيّة لرعايا الدولة كلّهم، وتنظيم موازنة الدولة، وإصلاح التّعليم والمواصلات والتّجارة، وتملك الأراضي والعقارات، وبخاصة الأراضي (الميري)[12]، ممّا

[9] كلخانة: السّاحة الّتي تمتد من سراي بورنو إلى أسوار طوب قابي المطلّة على البحر، وقد سُمّيت بذلك لكونها كانت حدائق زهور. انظر: سهيل صابان، المعجم الموسوعيّ، ص 192.

[10] ينظر: محمد فريد بك، تاريخ الدولة العليّة العثمانيّة، ص254؛ محمد كرد علي، خطط الشام، ج3ص65، محمد أنيس، تاريخ الدولة العثمانيّة والشرق العربيّ، ص217، علي حسون، تاريخ الدولة العثمانيّة، وعلاقاتها الخارجيّة، ص185-186، حسان حلاّق، تاريخ الشعوب الإسلاميّة، ص40-41.

[11] فرمان: كلمة فارسيّة، وهو الأمر السّلطاني الرّسمي المكتوب، والصّادر في قضية ما. انظر: سهيل صابان، المعجم الموسوعيّ، ص 164؛ آدي شير، الألفاظ الفارسيّة، ص119.

[12] الأراضي الأميريّة (الميري): وهي الأراضي الّتي تملكها الدّولة العثمانيّة، وتمنح الاستفادة منها بشروط معينة لفئات من النّاس. انظر: سهيل صابان، المعجم الموسوعيّ، ص 27.

مهّد الطريق إلى ظهور الملاك، والسّماح للنّصارى بالخدمة العسكريّة[13].

كان آخر الإصلاحات ما تمّ في عهد السّلطان عبدالحميد الثاني، فبعد توليه السلطنة بثلاثة أيام أظهر للوزراء رغبته في إصلاح الأمور في خطّ (همايونيّ) أرسله جلالته إلى الباب العالي[14] إشعارًا بجلوسه مؤرخًا في يوم الأحد (21 شعبان 1293هـ/ 1876/9/10م)"[15]، وتبع ذلك سلسلة قرارات إصلاحيّة كان من أهمّها القانون الأساس الذي تضمّن (119) مادة، وقرئ في مَجمعٍ حافل في إستانبول يوم السّبت (7 ذي الحجّة 1293هـ/ 12/23/ 1876م). "وهو قانون قد جمع، فأوعى أهمّ ما به أنّه ضمن لجميع رعايا الدولة الحريّة والمساواة أمام القانون، وأباح حريّة التّعليم مع جعله إجباريًّا على جميع أفراد العثمانيّين، وحريّة المطبوعات، وبيَّنَ اختصاصات مجلسي المبعوثان والأعيان... وأنّ جميع الرّعايا يُطلق عليهم اسم عثمانيّ، ومَنْ هو ذاك العثمانيّ، وأنّ الدّين الرّسميّ هو دين الإسلام، واللّغة الرسميّة هي اللّغة التركيّة، وأنّ الدولة جسم واحد لا يمكن تفريقه أو تجزيئه، وممّا فيه أيضًا إبطال المصادرة في الأموال على العموم، والتّعذيب في التّحقيق، والسّخرية على وجه العموم، ووضع ميزانية سنويّة تُعرض على هيئة المبعوثان ثم الأعيان... وعدم جواز عزل القضاة إلّا بسبب شرعيّ، وكيفية نظام الولايات"[16] لكنّ السّلطان عبدالحميد لم يُنفذ هذا الدستور؛ لأنّه رأى فيه تدخلاً سافرًا من الدول الأوروبيّة في شؤون الدولة، ومحاولة لتفكيكها، ودفعها إلى التّخلي عن دين الإسلام.

---

[13] ينظر: محمد فريد بك، تاريخ الدولة العليّة العثمانيّة، ص256-257، محمد كرد علي، خطط الشام، ج3ص78، 96، حسان حلاّق، تاريخ الشعوب الإسلاميّة الحديث، ص40، أكمل الدين أوغلي، الدولة العثمانيّة: تاريخ وحضارة، ج2ص1-3، دونالد كواترت، الدولة العثمانيّة 1700-1922، ص133.

[14] الباب العالي: مقرّ رئيس الوزراء، أو الحكم في الدّولة العثمانيّة، أنشأه السّلطان محمّد الرّابع سنة (1064هـ/1654م). ثمّ أُطلق اسم المكان فيما بعد على ساكنه، وهو الوزير الأعظم. انظر: سهيل صابان، المعجم الموسوعيّ، ص 49.

[15] محمد فريد بك، تاريخ الدولة العلية العثمانيّة، ص326.

[16] ن.م.، ص329.

ثانيًا: التّنظيمات المؤثّرة في ظهور المسرح:

وما يهمنا في هذا البحث هو الحديث عمّا تضمنته التّنظيمات (الإصلاحات) المتتالية من قضايا أثّرت بشكل مباشر، أو غير مباشر في ظهور التمثيل، والمسرح في فلسطين، وأهم تلك القضايا هي:

1- قانون التّعليم

صدرت قوانين عديدة تهتم بالتّعليم، وترقيته في إطار التّنظيمات (الإصلاحات) العثمانيّة وهي:

أ. إقرار مبدأ التّعليم الإلزاميّ والمجانيّ، فقد صدر هذا القانون سنة (1261هـ/1845م)[17].

ب. فتح مدارس الدولة لكلّ رعاياها.

في سنة (1273هـ/1856م) جاء في خطّ (همايونيّ): إنّ كلّ رعايا الدولة العثمانيّة يحقُّ لهم دخول المدارس الحكوميّة (الرسميّة) إذا كانت تتوافر فيهم شروط القبول المطلوبة، والّتي كانت تتعلّق بالسنّ، واجتياز امتحان محدّد، كما منح القانون كلّ طائفة من الطّوائف الموجودة في رعايا الدولة الحقّ في إقامة وإنشاء مدارس خاصّة بها[18].

ج. قانون تنظيم التّعليم.

يمكن اعتبار ما سبق مقدّمة لصدور قانون تنظيم التّعليم لسنة (1286هـ/1869م)، فقد حدّد هذا القانون الهيكل الإداريّ لجهاز التّعليم، وأنواع المدارس، وسنوات الدّراسة في كلّ منها، ونصّ على وجوب فتح مدرسة ابتدائيّة في كلّ قرية، وإعداديّة في كلّ مدينة يتجاوز عدد عائلاتها ألف عائلة، وقسّم المدارس بعامّة إلى قسمين هما: عموميّة (رسميّة)،

[17] ينظر: كامل جميل العسلي، التّعليم في فلسطين من الفتح الإسلاميّ حتّى بداية العصر الحديث: في الموسوعة الفلسطينيّة، القسم الثاني (الدراسات الخاصة)، المجلد الثالث (دراسات الحضارة)، ص24.

[18] ينظر: كامل العسلي، التّعليم في فلسطين من الفتح الإسلاميّ حتّى بداية العصر الحديث: في الموسوعة الفلسطينيّة، القسم الثاني (الدراسات الخاصة)، المجلد الثالث (دراسات الحضارة)، ص24.

وخصوصيّة، وأوجد نظامًا خاصًّا للإشراف على التّعليم، ووضع مناهج مفصلة وحديثة لكلّ صف تعليميّ، لكن ظلت اللّغة التركيّة هي اللّغة الرسميّة للتّدريس في المدارس الابتدائيّة والإعداديّة.

وكان هدف هذا النظام التّعليميّ توفير عدد كافٍ من المتعلمين المؤهلين علميًّا في مجالات المعرفة المختلفة، لسدّ حاجات الدولة العثمانيّة في الوظائف العامّة الرسميّة، وقد بقي تأثير هذا القانون محدودًا جدًّا في ولاية سوريا ومنها فلسطين، حتّى تولّى حكمها مدحت باشا سنة (1295هـ/1878م)، حيث قام بتنفيذ هذا القانون بشكل واسع[19].

وما يهمنا من قانون التّعليم هو ما يتعلق بحقّ الطّوائف غير الإسلاميّة بعامّة، والمسيحيّة واليهوديّة بخاصّة في إنشاء مدارسهم الخاصّة بهم، فظهر من المدارس غير الرسميّة ثلاثة أصناف هي: المدارس الأجنبيّة، والمدارس التّابعة للطوائف في الدولة العثمانيّة، والمدارس الأهليّة الّتي أنشأها أهل البلاد. وقد شملت مدارس الطّوائف أربعة طوائف أساسيّة هي: طوائف نصارى العرب، والأرمن، والسّريان، واليهود، فيما شملت المدارس الأجنبيّة المدارس التي أنشأتها الإرساليات التبشيريّة الروسيّة، والأوروبيّة المسيحيّة، التي تنافست تنافسًا شديدًا من أجل بناء المدارس خدمة لأهداف الدول التي تحميها[20].

تنوعت المدارس الخاصّة التّابعة للطّوائف غير الإسلاميّة بتنوع الطّوائف والإرساليات التبشيريّة، فكان للأرثوذكس التّابعين لروسيا، والبروتستانت لبريطانيا وألمانيا، والكاثوليك لفرنسا وإيطاليا وإسبانيا، فضلًا عن مدارس الطّوائف المسيحيّة المحليّة واليهوديّة

[19] ينظر: كامل العسلي، التّعليم في فلسطين من الفتح الإسلاميّ حتّى بداية العصر الحديث: في الموسوعة الفلسطينيّة، القسم الثاني (الدراسات الخاصة)، المجلد الثالث (دراسات الحضارة)، ص24؛ زهير غنايم، ولاية بيروت في فترة التّنظيمات: دراسة في الأوضاع الإدارية والاقتصادية والثقافية: في محمد عدنان البخيت ومحمد يونس مرزوق (تحرير)، بحوث في تاريخ بلاد الشام في العصر العثمانيّ، ص148.

[20] ينظر: كامل العسلي، التّعليم في فلسطين من الفتح الإسلاميّ حتّى بداية العصر الحديث: في الموسوعة الفلسطينيّة، القسم الثاني (الدراسات الخاصة)، المجلد الثالث (دراسات الحضارة)، ص25-26.

مدارسها الخاصة بها، ولم تكتف هذه الطّوائف بإنشاء مدارس لسدّ حاجات طوائفها، بل عملت على توفير التّعليم لطلبة المسلمين، الّذين كانوا يُشكّلون الأكثريّة، وذلك لتحقيق أهداف بعيدة المدى تتمثل في إخراج المسلمين من دينهم، وتسهيل السّيطرة عليهم. ثمّ إنّ هذه الطّوائف لجأت إلى إنشاء مدارس لإعداد المعلمين لسدّ حاجة المدارس التي افتتحتها وبخاصّة روسيا الّتي وصل عدد مدارسها في سوريا الطبيعيّة ومنها فلسطين إلى (202) مدرسة، كما كانت ترسل الطّلبة المتفوقين إلى روسيا لإكمال تعليمهم، ما يجعلهم أكثر ميلًا إلى البلاد الّتي تولّت تعليمهم، وتثقيفهم من وطنهم الأم[21].

وقد كان كثير من معلمي المدارس التبشيريّة التّابعة لأغلب الطّوائف المحليّة، والمدارس الأجنبيّة من البلدان الّتي تُشرف على هذه الجمعيّات والإرساليات التبشيريّة، وبعضهم كان من طائفة الرّهبان أو الرّاهبات، وكانت المدارس تُعلِّم مبادئ الدين المسيحيّ، وتُجبر الطّلبة على الذّهاب للكنيسة كلّ يوم أحد، ولكنّها اهتمت بتعليم اللّغة العربيّة أكثر من المدارس العموميّة (الحكوميّة) ما جعل كثيرين من المسلمين يرسلون أبناءهم إليها لتعلُّم اللّغة العربيّة.

وفيما يتعلق بالمسرح والتمثيل المسرحيّ كانت أغلب مدارس الطّوائف والمدارس الأجنبيّة تحرص على افتتاح العام الدراسيّ، أو اختتامه بتمثيل رواية من قبل طلبة المدرسة والمعلّمين، وكانت أغلب الرّوايات المُمثّلة هي من الروايات المترجمة عن لغة الدولة الّتي تتبعها المدرسة أو مُقتبسة منها، كما كان يوجد في كثير من المدارس أماكن لتمثيل هذه الرّوايات.

وأقام اليهود نوعين من المدارس هما: المدارس الدينيّة، وهذه كانت تُعِدُّ طلبتها ليصبحوا حاخامات، ومدارس حديثة تولّى الإشراف عليها الاتّحاد الإسرائيليّ العالميّ (الأليانس)، وقد افتتحوا مدارس في المدن الّتي كان يعيش فيها يهود، وفي المستوطنات

[21] ينظر: زهير غنايم، لواء عكا في عهد التّنظيمات العثمانيّة 1281-1337/1864-1918، ص278-289. محمد أنيس، الدولة العثمانيّة والشرق العربي، ص218.

اليهوديّة. ولم يكن للمدارس اليهوديّة تأثير مباشر، أو غير مباشر على التّعليم في أوساط المسلمين في فلسطين؛ لأنّها لم تفتح أبوابها للمسلمين، كما أنّ المسلمين بعامّة والعرب الفلسطينيّين بخاصّة كانوا لا يُقبلون على هذه المدارس.

2- قانون تشكيل الولايات

مرّت على فلسطين عدة تقسيمات إداريّة في العهد العثمانيّ، وما يهمّ هذا البحث هو الأحداث الّتي جرت في القرن الثّالث عشر الهجريّ/التّاسع عشر الميلاديّ، فبعد إعادة سلطة الدولة العثمانيّة على الشام وفلسطين إثر انسحاب جيوش إبراهيم باشا بن محمد علي باشا منها سنة (1257 هـ/1841م) اعترفت الدولة بالزّعماء المحليّين الّذين مارسوا سلطاتهم طوال حوالي عشرين عامًا " بين مدٍّ وجزر حسب الظّروف المحليّة والعثمانيّة والدوليّة؛ فحينًا يضربون زعيمًا بآخر، أو يدعمون زعيمًا دون غيره من الأسرة نفسها، وأحيانًا يرضخون لأيّة تغييرات يفرضها الزّعماء المحليون أنفسهم"[22].

وبهدف سيادة الأمن في القدس والخليل أنشأت الدولة في القدس سنة (1270هـ/ 1854م) ولاية قائمة بذاتها، وربطتها بإستانبول مباشرة، وضمّت إليها (سناجق)[23] غزة ونابلس، فتعزّزت سلطة الدولة، وحاصرت المتمرّدين، وحمت البلاد من امتداد الفتنة الّتي حصلت في بيروت ودمشق سنة (1277هـ / 1860م).

ولما صدر قانون تشكيل الولايات سنة (1281هـ/ 1864م) قُسِّمت بلاد الشام إلى ولايتين هما: سوريا وحلب، وتبعت فلسطين ولاية سوريا، وعُيّن عليها حاكم خاص مقرّه القدس. وتألفت فلسطين من تسع مناطق واسعة هي: القدس، والخليل، وغزة، واللد،

[22] عبد الكريم رافق، فلسطين في عهد التّنظيمات العثمانيّة، ص861.

[23] سنجق: القسم الإداريّ من أقسام الدّولة العثمانيّة، وكان يشمل (5-10) أقضية، ويُقابله في اللغة العربيّة "اللّواء". انظر: سهيل صابان، المعجم الموسوعيّ، 136، آدي شير، الألفاظ الفارسيّة، ص95.

ونابلس، وآل مرة، وبلاد شقيف، وبلاد حوران، والغور الشرقي[24]، ثمّ في عام (1290هـ/ 1873م) فصلت متصرفيّة القدس عن ولاية سوريا للظّروف الخاصّة الّتي كانت تعيشها جرّاء تنافس الدول الأوروبيّة وروسيا وإرسالياتها التبشيريّة - فضلًا عن اليهود - على السيطرة على المدينة في المجالات كلّها، وأُتبعت لإستانبول مباشرة، فيما في عام (1304هـ/ 1877م) تشكّلت ولاية بيروت، وضمّت أجزاء مهمّة من فلسطين، وهي: سنجق عكا وأقضيته (حيفا وطبريا وصفد والناصرة) وسنجق البلقاء -نابلس بما فيه قضاء جنين وطولكرم[25].

وما يهمّ هذا البحث في التّشكيلات الاداريّة الّتي سرى مفعولها على فلسطين، بغض النّظر عن تبعية هذه المنطقة أو تلك، هو: أنّ هذه التّشكيلات سمحت بتشكيل مجالس بلديّة، وكان في هذه المجالس مُمثّلون عن الطّوائف غير الإسلاميّة، وكان من هؤلاء رؤساء روحيّون (رجال دين مسيحيّ ويهوديّ)[26]، وقد عملت المجالس البلديّة على تصريف أُمور الحياة اليوميّة للسكّان، وأيضًا تقديم خدمات اجتماعيّة وثقافيّة وتعليميّة وترفيهيّة لهم، كما سمحت بإقامة نواد ثقافيّة، وأدبيّة، واجتماعيّة، وهذه كان لها شأن ودور في إقامة

[24] الشّقيف: الكهف، وقد أُضيف إلى رجل روميّ أو إفرنجيّ. وهو قلعة حصينة جدًّا في كهف من الجبل قرب بانياس من أرض دمشق، بينها وبين السّاحل، وهو اليوم بلدة وقلعة في جنوبي لبنان. حوران: كورة واسعة من أعمال دمشق من جهة الجنوب، وهي ذات قرى ومزارع كثيرة، وقصبتها بصرى. وهي اليوم منقطة واسعة في جنوبي سورية، وتضم ثلاث محافظات هي: درعا، والسّويداء، والقنيطرة. والغور: الأرض المنخفضة، وغور الأردن يقع بين بيت المقدس ودمشق، منخفض عن أرضها بدايته في الشمال بحيرة طبريا، ونهايته في الجنوب البحر الميت بفلسطين. انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، 356/3، و317/2، و216/4، على التوالي.

[25] ينظر: عبد الكريم رافق، فلسطين في عهد التّنظيمات العثمانيّة [(2)]، ص861-863؛ محمد أنيس، الدولة العثمانيّة والشرق العربي، ص221.

[26] ينظر: عبد الكريم رافق، فلسطين في عهد التّنظيمات العثمانيّة، ص866-873.

مسارح، والسّماح بتمثيل روايات أجنبيّة مترجمة، أو مقتبسة على تلك المسارح في أوقات معينة، وأحيانًا قليلة روايات عربيّة؛ تاريخيّة واجتماعيّة.

3- الطّباعة والصّحافة:

دخلت الطّباعة بلاد الشّام مع البعثات التبشيريّة المسيحيّة، وذلك لسدّ حاجات مؤسّساتها التّعليميّة والتبشيريّة الدينيّة، وقد انتشرت في: القدس وحيفا ويافا في الثّلث الأخير من القرن الثّالث عشر الهجريّ/ منتصف القرن التّاسع عشر الميلاديّ، وجهزت بأجهزة حديثة في أوائل القرن الرّابع عشر الهجريّ/ بداية القرن العشرين، وكانت أغلب المطابع تابعة للأديرة مثل: دير الأرمن، ودير الروم، والرّهبان الفرنسيسكان.

وقد أدى انتشار الطّباعة إلى ظهور الصّحف، والمجلّات المتنوّعة، كما تمّ طباعة الكتب المختلفة في تلك المطابع، وفيها الرّوايات الأجنبيّة المترجمة أو المقتبسة، والرّوايات الّتي ألّفها كتاب عرب؛ مسلمون ومسيحيّون، فمثلًا مجلة النفائس العصريّة، كانت تطبع في مطبعة دار الأيتام السوريّة في القدس، وصحيفة التّرقي نصف الشّهريّة، كانت تُطبع في حيفا، وصحيفة القدس الشّريف الّتي أصدرتها متصرفيّة القدس يوم الثلاثاء (9 جمادى الآخرة 1321هـ/ 1903/9/1م) كانت تنشر بعض الرّوايات التمثيليّة، وفي سنة (1326هـ/ 1908م) صدرت صحف ومجلّات كثيرة، كما أصدرت بعض المدارس بالتّعاون بين الطلبة والأساتذة مجلّات وصحفًا للتعبير عن وجهة نظر الطّلبة والمدرسين، ونشر إبداعاتهم الأدبيّة والثقافيّة المتنوّعة[27].

4- التّرجمة:

كانت فلسطين من أوائل البلدان العربيّة في المشرق الإسلاميّ الّتي عرفت التّرجمة من اللّغات الأجنبيّة إلى العربيّة وبالعكس، وذلك لثلاثة أسباب تمثّلت في: انتشار الإرساليات التبشيريّة الأجنبيّة فيها، وحصولها على امتيازات خاصّة من الدولة العثمانيّة، وقيامها

[27] ينظر: عبد القادر ياسين، الصّحافة العربية في فلسطين في: الموسوعة الفلسطينيّة، القسم الثاني (دراسات خاصة)، المجلد الرابع (دراسات الحضارة)، ص429-431.

بفتح مدارس تابعة لها، وكلّ منها كانت تُدرّس لغة الدولة التي تتبعها، وانتشار المدارس ودور إعداد المعلمين الرّوسيّة في فلسطين وبلاد الشام بعامّة، وعناية تلك المدارس بنشر اللّغة الروسيّة، حيث تخّرج فيها تلك رواد التّرجمة في فلسطين ومنهم: خليل بيدس، وسليم قبعين، وأنطون بلاّن فيما أسهم آخرون من خريجي المدارس الروسيّة في التّرجمة من العربيّة إلى الروسيّة، وبالتالي أسهموا في تطوير حركة الاستشراق الروسيّة ومن هؤلاء: بندلي صليبا الجوزي، وكلثوم عودة وغيرهما[28].

وقد أدى تعليم الطّلبة الفلسطينيّين في مدارس الإرساليات التبشيريّة إلى إتقان كثيرين منهم لغات المدارس الّتي تعلّموا فيها وهي اللّغات: الإنجليزيّة والفرنسيّة والإيطاليّة والألمانيّة والروسيّة، وقد لجأ عدد من المتخرّجين في تلك المدارس والمعاهد إلى ترجمة بعض الرّوايات الّتي تأثّروا بها أو درسوا عنها في مرحلة تلقيهم العلوم في مدارسهم أو في دور إعداد المعلمين، فضلًا عن أن بعض المدرّسين في تلك المدارس، وبعض المبشرين لجأوا إلى ترجمة بعض الرّوايات أو الاقتباس من روايات أجنبيّة، وتعليمها لطلبتهم، ثمّ تدريبهم على تمثيلها في مدارسهم أو الأديرة أو الكنائس، وحتّى في النوادي والجمعيّات التي كانوا يديرونها أو يشرفون عليها، وذلك بهدف نقل ثقافتهم، وعاداتهم وسلوكاتهم إلى الشعب الفلسطينيّ بهدف استعماريّ، وديني لم يخفوه لا هم ولا دولهم الاستعماريّة التي وفرّت لهم الحماية اللّازمة على حساب المسلمين.

ثالثًا: نشأة المسرح الفلسطينيّ

اختلف الدارسون للمسرح الفلسطينيّ حول نشأته الأولى؛ فمنهم مَنْ أعاد نشأته إلى العقد الأخير من القرن الثّالث عشر الهجريّ/ الرّبع الأخير من القرن التاسع عشر الميلاديّ، ومنهم مَنْ قال بنشأته مع نهاية العقد الثاني من القرن الرّابع عشر الهجريّ/ بداية القرن العشرين، ومنهم مَنْ جعله مرافقًا لظهور المدارس الأجنبيّة التبشيريّة في آخر العقد السّابع من القرن

[28] ينظر: حسام الخطيب، حركة الترجمة الفلسطينيّة في القرن العشرين حتّى عام 1985 في: الموسوعة الفلسطينيّة، القسم الثاني (الدراسات الخاصة)، المجلد الرابع (دراسات الحضارة)، ص256-257.

الثّالث عشر الهجريّ/ أول النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلاديّ، أو أوّل العقد التّاسع من القرن الثّالث عشر الهجريّ/ أول الثّلث الثّاني من القرن التّاسع عشر الميلاديّ، ومنهم مَنْ لم يذكر فلسطين في نشأة المسرح العربيّ، ومنهم مَنْ لم يُحدّد تاريخًا لنشأة المسرح في فلسطين، ويمكنني توضيح آراء أهم مَنْ درسوا نشأة المسرح الفلسطينيّ على النّحو التالي:

1. محمد يوسف نجم، ذكر أنّ المسرح العربيّ نشأ بتأثير من المسرح الأوروبيّ في ثلاث بيئات هي: لبنان، وسوريا، ومصر على التوالي، وأنّ رائده هو مارون النقاش[29]؛ إذ عرض أوّل مسرحيّة مترجمة في بيته ببيروت سنة (1263هـ/ 1847م). ونفى وجود أية وشيجة واضحة متينة تربط بين الأدب المسرحيّ الحديث والتّراث الأدبيّ العربيّ، كما قال: إنّ المسرح العربيّ الحديث ليس امتدادًا للتراث العربيّ القديم، ولا تطويرًا للون من ألوانه المختلفة. وجعل بداية معرفة العرب المسرح حملة نابليون على مصر سنة (1212هـ/ 1798م)، حيث كان التمثيل واحدًا من عناصر المدنيّة الفرنسيّة الّتي دخلت مصر مع الطّباعة الصّحافة[30].
2. جرجي زيدان، قال: إنّ العرب عرفوا المسرح مع حملة نابليون على مصر، وأنّ نابليون جلب المسرح معه في جملة أسباب المدنية الحديثة الّتي أدخلها مصر. ويلاحظ أنّ حديث جرجي زيدان عام، ولم يذكر شيئًا خاصًّا عن المسرح الفلسطينيّ[31].
3. عبد الرحمن ياغي، قال: إنّ بدايات المسرح العربيّ لم تتجاوز العقد السّادس من القرن الثّالث عشر الهجريّ/ النصف الأول من القرن التّاسع عشر إلى الوراء بكثير، ولم يتحدّث عن نشوء المسرح الفلسطينيّ[32].

[29] مارون بن إلياس النّقاش: عاش ما بين (1232-1272هـ/ 1817-1855م)، وهم تاجر، ومسرحيّ لبنانيّ، ولد في صيدا لأسرة معروفة بالأدب، زار إيطاليا، فتعرّف على المسرح، وأُعجب به، فنقله إلى لبنان، فمثّل أول مسرحيّة في بيته بحضور والي بيروت العثمانيّ، ويُعدُّ من أوائل رواد المسرح العربيّ الحديث. انظر ترجمته في: جرجي زيدان، تاريخ آداب اللّغة العربيّة، 139/4؛ الزركلي، الأعلام، 235/5.

[30] ينظر: محمد يوسف نجم، المسرحية في الأدب العربي الحديث: 1847-1914، ص 10، 12، 18.

[31] ينظر: جرجي زيدان، تاريخ آداب اللّغة العربية، 138/4.

[32] ينظر: عبد الرحمن ياغي، في الجهود المسرحية الإغريقية الأوروبيّة العربية من النقاش إلى الحكيم، ص85.

4. ياسر الملاح، قال: إنّ محاولات عديدة جرت لبناء حركة مسرحيّة فلسطينيّة، لكن من دون جدوى، ولم يُحدّد زمن تلك المحاولات[33].
5. فتحي عبد الرحمن، لم يذكر تاريخًا لظهور المسرح الفلسطينيّ إلّا أنّه رأى أنّ النكبة[34] أصابت المسرح الفلسطينيّ بضربة قاسية، وبخاصة أنّه لم يكن قد وصل مرحلة التجذّر في حياة المجتمع الفلسطيني[35].
6. نصري الجوزيّ، ذكر أنّ المسرح دخل لبنان، ثمّ سوريا من خلال مدارس الإرساليات التبشيريّة الأجنبيّة، الّتي كانت تسعى لتحقيق أهداف: دينيّة، وتربويّة، وثقافيّة خاصّة بدولها، وذلك في العقد الأخير من القرن الثّالث عشر الهجريّ/ الربع الأخير من القرن التّاسع عشر الميلاديّ، واشتدّ عود المسرح في النّصف الأوّل من القرن الرّابع عشر الهجريّ/ الثّلث الأول من القرن العشرين، ولم يتحدّث عن فلسطين[36].
7. كمال غنيم، ذكر أنّ الاهتمام بالمسرح والمسرحيات في فلسطين رافق ظهور الإرساليات التبشيريّة الأجنبيّة، الّتي غزت بلاد الشام، فأسّست مدارس لخدمة دولها بداية من سنة (1264هـ/ 1848م)[37].
8. الموسوعة الفلسطينيّة، وردت فيها آراء عديدة، وفي بعض الأحيان كانت تلك الآراء غير منسجمة بعضها مع بعض، لا بل كانت متناقضة، وتتمثل تلك الآراء في الآتي:

---

[33] النّكبة: مصطلح سياسيّ أُطلق على الهزيمة الّتي ألحقتها العصابات الصهيونيّة بالجيوش العربيّة الّتي تدخّلت لمساعدة الشعب الفلسطينيّ، وإنقاذ فلسطين، بعد إنهاء بريطانيا لانتدابها على فلسطين، وبعد أن هيّأت الظروف المناسبة لإقامة الكيان الصهيونيّ خلال احتلالها لفلسطين، وذلك سنة (1367هـ/ 1948م)، ونتج عن ذلك احتلال أكثر من (78%) من أرض فلسطين، وتشريد أكثر من (750) ألف مواطن فلسطينيّ منها. انظر: عارف العارف، نكبة فلسطين، 3/1 وما بعدها.

[34] ينظر: ياسر الملاح، صفحات مطويات من تاريخ المسرح الفلسطينيّ: دراسة أدبية، ص92-93.

[35] ينظر: فتحي عبد الرحمن، المختصر المفيد في المسرح العربيّ الجديد: المسرح في فلسطين، ص92-93.

[36] ينظر: نصري الجوزي، تاريخ المسرح الفلسطينيّ 1948/1918، ص7، 9.

[37] ينظر: كمال غنيم، المسرح الفلسطينيّ: دراسة تاريخية نقدية في الأدب المسرحي، ص26.

أ. ورد في القسم العام من الموسوعة تحت عنوان: "الجمعيّات الأدبيّة"، أنّ هذه الجمعيّات كانت من عوامل نهضة فلسطين، وذكر عددًا منها وحدّد سنوات تأسيسها، فجمعيّة سوسنة صهيون، تأسّست بالقدس سنة (1294هـ/1877م)، والجمعية الألمانيّة الفلسطينيّة ظهرت في العقد الأوّل من القرن الرّابع عشر الهجريّ/ العقد الأخير من القرن التّاسع عشر الميلاديّ، والجمعية الأرثوذكسيّة الفلسطينيّة أنشئت سنة (1310هـ/ 1892م)، وجمعيّة الآداب الزّاهرة أنشئت بالقدس سنة (1316هـ/ 1898م)، وأسّس خليل السكاكينيّ في القدس فرعًا لجمعية الإخاء العربيّ سنة (1326هـ/ 1908م)، كما تأسّست في يافا جمعية ترقّي الآداب الوطنيّة سنة (1326هـ/ 1908م)[38]. ولم يذكر علاقة هذه الجمعيّات بالمسرح والتّمثيل، ولكن بما أنّه كان من أعمال الجمعيّات الاهتمام بالآداب وتمثيل الرّوايات، وبخاصّة من خلال علاقة تلك الآداب بالمدارس الّتي كانت تُشرف عليها، فإنّني أُرجّح أنّها اهتمت بالتمثيل المسرحيّ بالتّعاون مع المدارس ذات العلاقة بها.

أمّا جمعية فتيان الرّوم الكاثوليك في حيفا، فلم يذكر تاريخ تأسيسها، ولكنّني أُرجّح أنّها أُسِّست بعد سنة (1326هـ/1908م)؛ إذ كثر إنشاء الجمعيّات في المدن والقرى الفلسطينيّة بعد إعلان الدستور العثمانيّ، وقد عُنيت بأمور الأدب، وتمثيل المسرحيات، ويبدو أنّها توقفت عن العمل خلال الحرب العالميّة الأولى، كما توقّف عمل كثير من المدارس والجمعيّات؛ لذلك ذكر أنه أُعيد تأسيسها يوم الإثنين (24 صفر 1338هـ/ 1919/11/17م)، باسم جمعية الشّبيبة المسيحيّة، وبرئاسة أديب الجدع، وعُنيت بالتمثيل المسرحيّ[39].

ب. ورد في الموسوعة الفلسطينيّة تحت عنوان: "التمثيل والمسرح" أنّ الحركة المسرحيّة في فلسطين بدأت في المدارس في العقد العاشر من القرن الثّالث عشر الهجريّ/ الربع الأخير من القرن التّاسع عشر الميلاديّ، واشتدّ ساعد الفرق المسرحيّة في الثّلث الأوّل من القرن

[38] الموسوعة الفلسطينيّة: الجمعيّات الأدبية، القسم العام (المجلد الثاني ج- ش)، طبعة جديدة مزيدة ومنقحة، 1996، ص62-63.

[39] ينظر: الموسوعة الفلسطينيّة: الجمعيّات الأدبية، ص63.

الرّابع عشر الهجريّ/ أوائل القرن العشرين الميلاديّ، وبخاصّة بعد الحرب العالميّة الأولى، وأشارت الموسوعة إلى أنّ كلّ مدرسة كانت تقوم بعرض مسرحيّة، أو أكثر في نهاية العام الدراسيّ، وفي مناسبة الأعياد الدينيّة والوطنيّة. وأنّ المدارس الأجنبيّة التابعة للإرساليات التبشيريّة كانت تهتم بنقل أدب أمّتها والتّعريف بمؤلفيها، وتمثّل مسرحيات تهتم بتاريخها، وتراثها، وأخلاقها، فيما المدارس الوطنيّة الفلسطينيّة كانت تهتم بإحياء التّراث العربيّ الإسلاميّ، وتمثّل مسرحيات تُذكر الفلسطينيّين بتاريخ أمّتهم العربيّة الإسلاميّة وتراثها المجيد.

كما أشارت الموسوعة إلى ظهور عدد من المثقّفين الفلسطينيّين الّذين أسهموا في نمو الحركة المسرحيّة الفلسطينيّة في أربعينيّات القرن الرّابع عشر الهجريّ/ عشرينيات القرن العشرين الميلاديّ من خلال: ترجمة روايات تمثيليّة، أو تأليفها مثل: خليل بيدس. وتحدثت عن الجمعيّات الأدبية التمثيليّة بعموميّة، كما سبق في موضوع "الجمعيّات الأدبية" لكنّها أضافت نادي المنتدى الأدبيّ، الّذي تأسّس في القدس سنة (1334هـ/1915م)، والّذي قام بعرض مسرحيّات عربيّة وأجنبيّة مترجمة على مسرح قهوة المعارف بباب الخليل في القدس القديمة. حيث عرض مسرحيّة صلاح الدّين الأيوبيّ لمؤلّفها فرح أنطون، ومسرحيّة لصوص الغاب المترجمة عن اللّغة الألمانيّة وهي للألمانيّ فردريك نيتشة[40].

ج. واصف أبو الشّباب أعطى آراء متناقضة، وذلك على النحو التالي[41]:

1- قال إنّ المسرح العربيّ، أو فن التّمثيل، أو الرّواية التمثيليّة بدأت في الظّهور في العقد الثّامن من القرن الثّالث عشر الهجريّ/ النّصف الثاني من القرن التّاسع عشر الميلاديّ اعتمادًا على المسرح الأوروبيّ، وقد ظهر هذا الفن أوّلًا في لبنان سنة (1263هـ/ 1847م)، ثمّ في سوريا، ثمّ في مصر. وأمّا في فلسطين فلم يحدّد تاريخًا لظهور المسرح فيها، لكنّه أشار إلى

[40] ينظر: الموسوعة الفلسطينيّة، التمثيل والمسرح، القسم العام المجلد الأول (أ-ث)، ص574-575.

[41] ينظر: واصف أبو الشباب، "القصة والرواية المسرحية في فلسطين 1900-1948": الموسوعة الفلسطينيّة، القسم الثاني (الدراسات الخاصة)، المجلد الرابع (دراسات الحضارة)، ص157.

أنّ ظهور الفن المسرحي تأخّر فيها؛ لعدم وجود الإمكانات المادية، ولقلّة الجمهور، ولتفشّي الجهل والأميّة، ولكون التّعليم باللّغة التركيّة وليس باللّغة العربيّة.

2- في حديثه عن المدارس الأجنبيّة التّابعة للإرساليات التبشيريّة، قال: إنّ هذه المدارس كثرت بسبب اهتمام، وتنافس الدول الأجنبيّة والإرساليات التبشيريّة؛ الدينيّة والثقافيّة في فلسطين حيث ظهرت مدارس: روسيّة، وإيطاليّة، وفرنسيّة، وإنجليزيّة، وألمانيّة، كما ظهرت دور إعداد معلمين، وأكّد أنّ هذه المؤسّسات التّعليميّة خرّجت طليعة من الطلبة الّذين كان لهم الرّيادة في: الأدب العربيّ بعامّة، والقصّة، والرّواية، والمسرحيّة بخاصّة.

3- في حديثه عن حال الثقافة في العقد الرّابع من القرن الرّابع عشر الهجريّ/ الرّبع الأول من القرن العشرين الميلاديّ، قال: إنّ الفلسطينيّ لم يستطع التفرّغ للمسرح، وكتابة الرّوايات المسرحيّة في الثّلثين الأوّلين من القرن الرّابع عشر الهجريّ/ النصف الأول من القرن العشرين الميلاديّ؛ لأنّ الفلسطينيّ كان في مواجهة سياسيّة ساخنة قبل وعد بلفور وبعده، فضلًا عن أنّ المسرح بحاجة إلى الأمن والهدوء والسلام، وثقافة واسعة، وحضارة، ورفاه، وثراء، فيما المواطن الفلسطينيّ كان فقيرًا يبحث عن لقمة عيشه لا عن مُتع كماليّة في المسرح، وغيره من وسائل التّرفيه الثقافيّ.

4- وأخيرًا ذكر أنّ الكتّاب والمثقّفين الفلسطينيّين حاولوا-مع الثّلث الأوّل من القرن الرّابع عشر الهجريّ/ بداية القرن العشرين الميلاديّ-بناء عمل مسرحيّ في حدود إمكانياتهم، لكنّ الظّروف السياسيّة والاقتصاديّة حالت دون نجاحهم في بناء مسرح أدبيّ فنيّ جيّد. ومن الواضح أنّ رأي واصف أبو الشّباب مُتناقض مع بقيّة الآراء، وفي ذاته، وهو بحاجة إلى مناقشة ليس هذا البحث مجالها.

د. حسام الخطيب، قال: إنّ دار المعلمين الروسيّة في الناصرة خرّجت روّاد التّرجمة من اللّغة العربيّة إلى اللّغة الروسيّة وبالعكس، وإنّ عددًا منهم ترجموا قصصًا روسيّة، ونشروها في الصّحافة الفلسطينيّة، فيما رائد التّرجمة الفلسطينيّة من اللّغة الروسيّة إلى اللّغة العربيّة خليل بيدس ترجم سنة (1316هـ/ 1898م) ثلاث روايات روسيّة هي: ابنة القبطان، والطّبيب الحاذق، والقوزاقي الولهان، ثمّ في يوم الأحد (7 شوّال 1326هـ/ 1/11/1908م) أسّس خليل بيدس مجلة النفائس في حيفا، فزاد نشاط التّرجمة عن اللّغة الروسيّة وغيرها من اللّغات

الأجنبيّة، وفي سنة (1329هـ/ 1911م) نقل خليل بيدس مجلّته إلى القدس، وأصدرها باسم مجلة النفائس العصريّة، فترجم هو نفسه روايات روسيّة ونشرها فيها، كما فتح مجلّته لنشر روايات مترجمة عن اللّغة الألمانيّة وغيرها من اللّغات الأوروبيّة[42].

ولا شك لدّي في أنّ هذه الرّوايات أو بعضها، أو فصولًا منها لاقت طريقها إلى التمثيل في: المدارس، أو الجمعيّات، أو النوادي الأدبيّة.

هـ. نجلاء نصير بشّور، رأت أنّ نهضة الحركة المسرحيّة بدأت في أربعينيّات القرن الرّابع عشر الهجريّ/ عشرينيّات القرن العشرين الميلاديّ، حيث برزت حاجة المسرح المدرسيّ إلى روايات تمثيليّة[43].

9. تمارا بوتيتسيفا، رأت أنّ المسرح في فلسطين بدأ دينيًّا كما هو الحال في بلاد اليونان، وأنّه بدأ عام (1250هـ/ 1834م) أي قبل المسرح في كلّ من: لبنان وسوريا ومصر، إذ ذكرت أنّ المارشال (مارمون) -الّذي كان مرافقا لنابليون في أثناء حملته على مصر وبلاد الشام-روى في مذكراته أنّه زار بيت لحم سنة (1250هـ/1834م) وشاهد عرضًا مسرحيًّا في أحد أديرة طائفة الرّوم الكاثوليك، و قدّم العرض مجموعة من الأطفال بمناسبة عيد الميلاد، وذلك جريًا على عادة جرت عليها الطائفة منذ القرون الوسطى[44] قال: "عيد الميلاد في بيت لحم، يُحتفل به بفخامة غير عادية، ولا تزال هناك عادة تقديم مسرحيّة دينيّة، كما كان الأمر عليه في القرون الوسطى، حيث يُشخّص الأطفال مختلف الشّخصيات في التّاريخ الدينيّ،

[42] ينظر: حسام الخطيب، "حركة الترجمة الفلسطينيّة في القرن العشرين حتّى عام 1985، ص257.

[43] ينظر: نجلاء بصير بشّور، "أدب الاطفال الفلسطينيّ": الموسوعة الفلسطينيّة. القسم الثاني (الدراسات الخاصة)، المجلد الرابع (دراسات الحضارة)، ص243.

[44] القرون الوسطى: تسمية تُطلق على الفترة الزمنيّة في التّاريخ الأوروبيّ من القرن الخامس إلى القرن الخامس عشر الميلاديّ، حيث بدأت بانهيار الإمبراطوريّة الرّومانيّة الغربيّة، واستمرّت حتّى ما يُسمّى عصر النهضة والاكتشافات (153 قبل الهجرة 897هـ/ 467-1492م). انظر: الموسوعة العربيّة العالميّة، م289/16.

ويرتدون ملابس الأشخاص الّذين يُصوّرونهم"[45]. ثمّ ذكر أنّ عالم الآثار الفرنسي (ميشون) شاهد سنة (1267هـ/1851م) عرضًا مسرحيًّا قدّمه (14) شخصًا[46].

بناء على ما سبق يُمكنني القول إنّ المسرح الفلسطينيّ بدأ مع بدايات المدارس التبشيريّة في فلسطين؛ إذ كانت فلسطين مركز تنافس بين الدول الأوروبيّة، وبينها وبين روسيا القيصريّة، وقد بلغ عدد المدارس الأجنبيّة في بلاد الشام (1300) مدرسة كان للفرنسيّين وحدهم منها (501) مدرسة، وهذه المدارس اهتمت بتقديم تمثيل مسرحيّ في عيد الميلاد، وفي بداية السنة الدراسية ونهايتها، وعليه فإنّ المسرح في فلسطين بدأ مسرحًا مدرسيًّا متأثرًا بالمسرح الأوروبيّ والروسيّ في بداية العقد السّابع من القرن الثّالث عشر الهجريّ/ نهاية النصف الأول من القرن التاسع عشر الميلاديّ، فيما كان المسرح الدينيّ موجودًا قبل ذلك بكثير، وقد أيّد ذلك ما روته المستشرقة الروسيّة (تمارا بوتيتسيفا) عن المارشال الفرنسيّ (مارمون) الّذي شاهد عرضًا مسرحيًّا في أحد أديرة الرّوم الكاثوليك ببيت لحم سنة (1250هـ/1834م)، وقال: إنّه عادة قديمة تعود للقرون الوسطى، أمّا المسرح كما عرفه الأوروبيّون فقد ظهر في فلسطين سنة (1260هـ/1851م)، كما روت ذلك المستشرقة نفسها.

وفيما يختص بالمسرح لدى المسلمين، فإنّني أرى أن المدارس الوطنيّة الإسلاميّة، والمدارس العثمانيّة الرسميّة (الحكوميّة) التي أقيمت في الثّلث الأخير من القرن الثّالث عشر الهجريّ/ النصف الثّاني من القرن التّاسع عشر الميلاديّ، وكما كان الدافع إليها هو مواجهة المدارس التبشيريّة، فلا شكَّ في أنّ من بين تلك السبل هو التمثيل المسرحيّ، ومَنْ ذكر المسرح المدرسيّ لم يميز بين مدارس تبشيريّة ووطنيّة.

ثم إنّني أُرجّح أنّ المسرح الدينيّ لدى المسلمين كان موجودًا في فلسطين، وغيرها من البلدان العربيّة قبل ذلك، وهو عندي امتداد لخيال الظل، وما تبعه من ألوان مسرحيّة شاعت في أواخر عصر الجراكسة وأوّل العهد العثمانيّ، وذلك وفقًا لما نقله محمد يوسف

[45] تمارا إلكسندروفا بوتيتسفا، ألف عام وعام على المسرح العربيّ، ص110.

[46] ينظر: ن.م.، ص111.

نجم عن رسالة المسرح كما ذكرها مارون النّقاش عمّا شاهده في أوروبا؛ إذ قال إنّ رسالته تمثّلت في: المتعة الفنية التي تصقل النفوس، والوعظ الّذي يُهذب الأخلاق، ولا شكَّ في أنّ هذا ما كان يسعى إليه الدّين، ولا يزال، قال: "لأنّه بهذه المراسم تنكشف عيوب البشر، فيعتبر النبيه، ويكون منها على حذر، وعدا اكتسابهم منها التأديب، ورشفهم رضاب النصائح، والتمدّن والتهذيب، فإنّهم بالوقت ذاته يتعلّمون ألفاظًا فصيحة، ويغتنمون معاني رجيحة؛ إذ من طبعها تكون مؤلّفة من كلام منظّم ووزن محكم"[47].

رابعًا: المسرح المدرسيّ

سمحت التّنظيمات العثمانيّة للإرساليات التبشيريّة المسيحيّة واليهوديّة والدول الأجنبيّة الاستعماريّة الغربيّة، وروسيا بحريّة إنشاء المدارس الخاصة، كما سمحت للأفراد بإنشاء هذه المدارس، وقد تنافست الدول الأجنبيّة الأوروبيّة، وطوائفها الدينيّة المختلفة، وروسيا على إنشاء المدارس التي كان من أهدافها[48]:

1. نشر اللّغة الخاصة ببلدان الإرساليات التبشيريّة.
2. التعريف بآداب وروائيي تلك البلدان وكتّابها المسرحيّين.
3. خدمة الدول الاستعماريّة التي كانت توفر لها الحماية والدعم المالي، والتي كانت تسعى إلى نهب ثروات البلاد ومنها فلسطين، والمحافظة على الطرق التجاريّة إلى الشرق الأقصى.
4. نشر ثقافة وعادات وتقاليد البلدان التابعة لها تلك المدارس.
5. نشر المذهب الدّينيّ الذي تتّبعه تلك المدارس والإرساليات التبشيريّة المسيحيّة.

وقد كان نصيب فلسطين من المدارس الإرسالية التبشيريّة أكبر من أي من أقطار بلاد الشام الأخرى؛ وذلك لأهميتها الدينيّة لدى المسيحيّين، وكان من ضمن النشاطات التي تقوم بها هذه المدارس في بداية السنة الدراسيّة ونهايتها وفي بعض المناسبات الدينيّة هو تمثيل بعض المسرحيات أو فصول منها.

[47] محمد يوسف نجم، المسرح العربي: دراسات ونصوص، ص12.

[48] ينظر: نصري الجوزي، تاريخ المسرح الفلسطينيّ، ص 14،5.

وقد ذكر نصري الجوزيّ عن خليل بيدس -الّذي عمل معلّمًا في عدة مدن في بلاد الشام، ومنها: حيفا والقدس، كما كان مشرفًا على المدارس الروسيّة في بلاد الشام -أنّ المدارس في الثّالث عشر الهجريّ/ القرن التّاسع عشر الميلاديّ اعتادت على تنظيم حفلات أعياد الميلاد، وأنّ طلبة المدارس كانوا يشاركون في تمثيل المسرحيات، ويتم اختيار الطلبة الأذكى والأطلق لسانًا؛ ليقوموا بالتدريب على أدوارهم قبل شهر من الاحتفال[49].

1. مسرح دار المعلّمين الروسيّة (السّمنار)

أسّست دار المعلمين الروسيّة، الجمعيّة الإمبراطوريّة الأرثوذكسيّة الفلسطينيّة التي أوكلت إليها روسيا القيصريّة افتتاح المدارس في بلاد الشام بهدف تقوية المذهب الأرثوذكسيّ، ونشر الثقافة الروسيّة، والتّصدي للإرساليات التبشيريّة الغربيّة، وذلك سنة (1303هـ/ 1886م)، في مدينة الناصرة بهدف إعداد معلّمين للعمل في المدارس الروسيّة ببلاد الشام، وكان معلمو الدار من العرب والرّوس، ثمّ عملت الدار على إيفاد الطّلبة المتفوّقين إلى الجامعات الروسيّة لإكمال تعليمهم.

وكان في الدّار مسرح يقوم طلبتها بالتّعاون مع الأساتذة بتمثيل بعض الرّوايات الروسيّة، وقد قام طلبة الدّار وأساتذتها بتشخيص رواية "التّجربة" مسرح هذه الدار، ذلك المسرح الّذي لا يُعرف شيء عن طبيعته، وأدواته[50].

2. مسرح دار المعلّمات الروسيّة في بيت جالا

أسّست هذه الدار الجمعيّة الإمبراطوريّة الأرثوذكسيّة الفلسطينيّة -سابقة الذكر-في مدينة بيت جالا سنة (1304هـ/1887م)، وقد ذكر نصري الجوزي أنّ معلّمات هذه الدار كُنّ يكتبن النّصوص المسرحيّة، ويُدّربن الطالبات عليها. ولا شك لديّ في أنّ هذه الدّار

[49] ينظر: نصري الجوزي، تاريخ المسرح الفلسطينيّ، ص9.

[50] ينظر: نصري الجوزي، تاريخ المسرح الفلسطينيّ، ص13.

كانت تمتلك مسرحًا -مهما كانت حالته المادية -تقوم الطّالبات بتمثيل المسرحيات التي يتمّ تدريبهن عليها من قبل معلّماتهن[51].

3. مسرح خليل السكاكيني

في الرّبع الأول من القرن الرّابع عشر الهجريّ/ أوائل القرن العشرين الميلاديّ أسّس خليل السكاكيني جمعيّة الإخاء الأرثوذكسيّ للمطالبة بحقوق النّصارى العرب الأرثوذكس من الإدارة اليونانيّة للكنيسة الأرثوذكسيّة، وافتتحت الجمعية فروعًا لها في مناطق عديدة، وكانت تقوم بنشاطات اجتماعيّة خيريّة وثقافيّة، وقد ذكر خليل السكاكيني أنّ الجمعية كانت تُقيم بازارات (أسواق خيريّة)، وفي يوم الثّلاثاء (18 رمضان 1326هـ/ 1908/10/13م) أحيت الجمعيّة ليالي تشخيصيّة موسيقيّة[52].

4. مسرح مدرسة الفرير بالقدس

تأسّست مدرسة الفرير للذكور بالقدس سنة (1293هـ/ 1876م) على يد جمعيّة إخوة الفرير الفرنسيّة، وكانت المدرسة تُدرّس اللّغتين الفرنسيّة والعربيّة، ولا شكَّ في أنّها كانت تضّم مشرفًا يقوم الطلبة بتمثيل روايات ومسرحيّات مترجمة عن الفرنسيّة في بداية السنة الدراسيّة ونهايتها، كما هي عادة المدارس الأجنبيّة، والوطنيّة في بلاد الشام بعامّة وفلسطين بخاصّة.

وما يؤكد وجود مسرح جيّد الإمكانيات في مدرسة الفرير هو استخدام نصري الجوزيّ لمسرحها سنة (1347هـ/1928م) لتمثيل مسرحيّة عنترة بن شدّاد، فعندما رفضت إدارة المدرسة إعطاءه مسرح مدرستها لتمثيل المسرحيّة، وعندما لم يجد مكانًا آخر مناسبًا لتمثيلها، لجأ إلى تهديد إدارة مدرسة الفرير لإجبارها على إعطائه المسرح، قال: "بيّنّا لإدارة مدرسة الفرير أنّ عنترة هو أحد أصحاب المعلّقات الّتي تُدرّس في جميع أرجاء البلاد، وأنّ

[51] ينظر: نصري الجوزي، تاريخ المسرح الفلسطينيّ، ص 10.

[52] ينظر: خليل السكاكيني، كذا أنا يا دنيا، ص41.

منع السّماح بتمثيل المسرحيّة يُعتبر خروجًا على العادات والتّقاليد، وحربًا على اللّغة العربيّة، والأدب العربيّ، ومُقاومة صريحة للشّعر والفن والتّمثيل"[53].

5. مسرح مدرسة روضة المعارف بالقدس

أسّسها الشّيح محمد سعيد بن سلمان بن محمد الصّالح، المكنّى بأبي الوفاء، والمتوفى سنة (1359هـ/1940م)، بهدف مواجهة المدارس التبشيريّة، وسدّ العجز التّعليميّ الموجود في المدارس الرسميّة، وكان ذلك سنة (1324هـ/1906م).

وقد ذكر نصري الجوزي أنّ طلبة هذه المدرسة كانوا بالتّعاون مع أساتذتهم يقدّمون أنشطة تمثيليّة في بداية كلّ سنة دراسيّة ونهايتها، وذلك كما هي العادة في المدارس الكبيرة في فلسطين وباقي بلاد الشام[54].

6. مسرح كليّة (شميدت) للبنات بالقدس

تأسّست مدرسة (كليّة شميدت) سنة (1304هـ/1886م) بالقدس بمبادرة من (الأب ولهلم شميدت)، فسُميت باسمه، وبرعاية جمعيّة يسوع، وجمعيّة الأرض المقدسة الألمانيّة، والمدرسة تقع في منطقة باب العامود، أوّل شارع نابلس على يمين الصّاعد إليه من باب العامود.

والأرجح أنّها كانت تضمّ مسرحًا مدرسيًّا، وكانت طالباتها بالتّعاون مع معلّماتهنّ يقمن بتمثيل روايات ومسرحيّات متنوّعة وبخاصّة المترجمة عن اللّغة الألمانيّة، أو المقتبسة عنها، فقد روى نصري الجوزي أنّ معلّمة كانت تدرّس فيها سنة (1308هـ/1890م) ذكرت له أنّها أسهمت في إعداد بعض التمثيليّات المترجمة عن اللّغة الألمانيّة[55].

أوقات التمثيل:

كان التمثيل في المدارس يتمّ في أوقات متعدّدة؛ منها:

[53] نصري الجوزي، تاريخ المسرح الفلسطينيّ، ص 174.

[54] ينظر: ن.م.، ص14.

[55] ينظر: ن.م.، ص 14.

1- بداية العام الدراسيّ.
2- نهاية العام الدراسيّ.
3- احتفالات عيد الميلاد المسيحيّ.
4- المناسبات الدينيّة.

وكلّ مدرسة تقوم بالتمثيل، وفق تخطيط إدارة المدرسة، ووجود نصّ أدبيّ قابل للتّمثيل، ووجود فرقة تمثيليّة (من الطّلبة وأساتذتهم)[56].

حفلات التّمثيل:

ذكر نصر الجوزي أنّ المدارس الروسيّة قبل الثورة البلشفية (1335هـ/1917م)، كانت متديّنة جدًّا، وكانت المسرحيات التي يتمّ تمثيلها في المدارس الروسيّة في فلسطين دينيّة بحتة، أو أخلاقيّة تحثّ على الفضائل الإنسانيّة وفق الرّؤيا المسيحيّة. وكانت حفلات التّمثيل تقام مجّانًا مرّتين-مهما كانت مناسبة إقامة حفلة التمثيل بداية العام الدراسيّ، أو نهايته، أو عيد الميلاد، أو أية مناسبة دينيّة -مرّة لطلبة المدرسة، وثانية يُدعى إليها أهالي المدينة، أو القرية الموجودة فيها المدرسة[57].

خامسًا: مسارح الجمعيّات والنوادي الأدبيّة

ظهرت بعض الجمعيّات والنوادي الأدبيّة والثقافيّة في فلسطين في نهاية القرن الثّالث عشر الهجريّ/ نهاية القرن التّاسع عشر الميلاديّ، ثمّ نشطت حركة إنشاء الجمعيّات والنوادي الأدبيّة والثقافيّة من قبل الإرساليات التبشيريّة الأجنبيّة، ومن قبل جهات وطنيّة؛ أفرادًا، ومؤسّسات، وذلك بعد إعلان الدستور العثمانيّ سنة (1326هـ/1908م).

وكان من أهم أهداف الجمعيّات ونوادي التمثيل المسرحيّ باعتباره وسيلة من وسائل نهضة الأدب، وتثقيف الناشئة، ونشر المعرفة، والعادات والتّقاليد، والقيم الأخلاقيّة الدينيّة وفق رؤى كلّ جهة مشرفة على هذه الجمعيّة أو النادي. قال نصري الجوزي في حديثه عن

[56] ينظر: نصري الجوزي، تاريخ المسرح الفلسطينيّ، ص 9.

[57] ينظر: ن.م.، ص9.

عمل الإرساليات التبشيريّة: "وتؤسس في الوقت نفسه نوادي وجمعيات رياضيّة، خطابيّة، تمثيليّة لتجذب إليها أنظار أهالي الطائفة، ولتزاحم نشاطات الطّوائف الأخرى"[58].

وقد أقبل الممثلون على الجمعيّات والنوادي الأجنبيّة أكثر من إقبالهم على الجمعيّات والنوادي الوطنيّة لعدم وجود مسارح في الجمعيّات والنوادي الوطنيّة، ولقدرة الجمعيّات والنوادي الأجنبيّة المادية على توفير مستلزمات المسرح كلّها، وإعطائها الممثلين الأدوار التي يرغب كلّ منهم فيها[59].

وقد توزّعت الجمعيّات والنوادي على مختلف المدن الفلسطينيّة وبخاصّة القدس، وفي بعض الأحيان أُنشِئت في بعض القرى الّتي كان يدين سكّانها أو بعضهم بالدّين المسيحيّ، ومن أهم الجمعيّات والنوادي التي ظهرت في فلسطين وعُنيت بالتّمثيل المسرحيّ:

1. جمعية سوسنة صهيون

تأسّست سنة (1294هـ/1877م)، وهي فرع اتّحاد الشّبان المسيحيّين، الّذي كان مركزه في لندن[60].

2. جمعية الغيرة المسيحيّة

تأسّست سنة (1299هـ/1882م)، وضمّت شباب طائفة الرّوم الأرثوذكس[61].

3. جمعية الآداب الزّاهرة

تأسّست في القدس سنة (1327هـ/1909م)، برئاسة داود الصيداويّ، وضمّت في عضويتها عددًا كبيرًا من أدباء القدس ومثقفيها، ومنهم: جميل الخالديّ، وعيسى العيسى، وخليل السكاكيني، وشبلي الجميل، ونخلة ترزي، وغيرهم. وقامت بنشاط أدبيّ كبير في القدس[62].

---

[58] ينظر: نصري الجوزي، تاريخ المسرح الفلسطينيّ، ص15، 27.

[59] ينظر: ن.م.، ص 28.

[60] ينظر: الموسوعة الفلسطينيّة: الجمعيّات الأدبية، ص62.

[61] ينظر: ن.م.، ص 62.

[62] ينظر: نصري الجوزي، تاريخ المسرح الفلسطينيّ، ص 28.

4. جمعية المنتدى الأدبيّ

أسّسها جمال الحسينيّ في القدس سنة (1333هـ/1915م)، وكان سبق وأسّسها في الأستانة، وكان عرض المسرحيات جزءًا من أهدافها، ولكنّه لم يكن يملك مسرحًا، فلجأ إلى عرض مسرحيّتين على مسرح قهوة المعارف في باب الخليل هما: مسرحيّة صلاح الدين الأيوبيّ من تأليف فرح أنطون، ومسرحيّة لصوص الغائب للألمانيّ (فردريك نيتشة). وفي ليل يومي الخميس والجمعة (1و2 رجب 1336هـ/ 11و1918/4/12م) مثّل فريق من أدباء القدس رواية "فتاة عدنان وشهامة العرب" في المدرسة الرشيديّة، وقيل في مدرسة دار الأيتام الإسلاميّة، وقد عُلّقت في صدر القاعة خارطة مجسّمة لفلسطين، وسُلّطت الأضواء، وكتب تحتها عبارة: "هذه يا قوم فلسطين مقبرة أجداد العرب العظام"[63].

5. جمعيّة الشبيبة المسيحيّة

أُعيد تأسيسها يوم الإثنين (24 صفر 1338هـ/ 1919/11/17م) بالقدس، ورأس الجمعية أديب الجدع، وكانت الجمعيّة تهتم بأُمور الأدب والتمثيل، حيث عرضت-من وقت إلى آخر-بعض الرّوايات ذات المغازي[64].

سادسًا: المسرح العام

إضافة إلى المسرح المدرسيّ، ومسرح الجمعيّات والنوادي الأدبيّة، ظهر بتأثير من التّنظيمات العثمانيّة في فلسطين ما يمكن أن أُسميه المسرح العام، حيث أقامت بعض البلديات التي أُنشئت في المدن الكبيرة في فلسطين مسارح عامّة؛ وسيلة لتسلية مواطنيها وترفيههم، ونشر المعارف والأخلاق الحميدة بينهم، كما أقام بعض الأفراد مسارح استثماريّة، وقد حصلت على معلومات عن مسرحين من هذا النوع من المسارح، وهما:

[63] ينظر: الموسوعة الفلسطينيّة: التمثيل والمسرح، ص 574؛ نصري الجوزي، تاريخ المسرح الفلسطينيّ، ص 31.

[64] ينظر: نصري الجوزي، تاريخ المسرح الفلسطينيّ، ص 71.

1- مسرح باب الخليل

يقع قرب باب الخليل (باب يافا) في الجانب الشمالي الغربيّ من البلدة القديمة بالقدس، وأُرجح أنّ المسرح كان في داخل الأسوار، وقد افتتحته بلدية القدس سنة (1319هـ/1901م)، وذلك في إطار سعيها لتحسين البنية التحتيّة للمدينة، وأوضاع المعيشة فيها، وتقديم خدمات مميزة لسكان المدينة المقدّسة.

وكان المسرح يستقبل فرقًا تمثيليّة متنوّعة الأصول؛ إذ كانت تمثل عليه مسرحيات بثلاث لغات هي: العربيّة، والتركيّة، والفرنسيّة، "وشملت النشاطات الثقافيّة تأسيس متحف للآثار، وافتتاح مسرح قرب باب الخليل سنة (1319هـ/1901م)، كانت تؤدى فيه المسرحيات بالعربية والتركية والفرنسية"[65].

2- مسرح قهوة المعارف

يعود تاريخ اكتشاف قهوة البنّ إلى سنة (817هـ/1414م) أو قبلها بقليل حيث قال الجزيريّ: إنّها ظهرت في برّ ابن سعد الدّين، وبلاد الحبشة، والجبرت وغيرها من برّ العجم، ولكنّه لم يُحدّد سنة اكتشافها، وقيل: إنّها ظهرت في المخا باليمن، وغيرها من المناطق اليمنيّة[66].

ثم انتشرت في: اليمن، والحجاز، وبلاد الشام، ومصر، وإستانبول، وغيرها من الولايات العثمانيّة، وذلك بعد جدل طويل حول حلّها أو حرمتها شارك فيه السّلاطين الجراكسة والعثمانيّون، والفقهاء، والأدباء؛ شعراءً وكتابًا، ثمّ اتّسع انتشار قهوة البنّ، وأصبحت قهوة البنّ حلالًا لا شبهة فيها.

وقد انتشرت في القدس بيوت قهوة البنّ منذ بداية العهد العثمانيّ، ثم عُرفت باسم المقاهي، وكان منها قهوة المعارف، التي على الأرجح تأسّست في العقد الأخير من القرن الثّالث عشر الهجريّ/ نهاية القرن التّاسع عشر الميلاديّ في منطقة باب الخليل من البلدة

[65] إلكزاندر شولش، "القدس في القرن التاسع عشر (1831–1917م): القدس في التاريخ"، ص 290.

[66] ينظر: مشهور الحبازي، "شعر قهوة البن في القرن العاشر الهجريّ / السادس عشر الميلاديّ: دراسة موضوعية "ص 187–188.

القديمة، والأرجح أنّه لاتساع مساحة قهوة المعارف، وكثرة روّادها أراد أصحابها تسليتهم والتّرفيه عنهم، فأقاموا فيها مسرحًا لعرض مسرحيّات وتمثيليّات هادفة، وقد ظلّ هذا المسرح يعمل حتّى أواخر العهد العثمانيّ، ويبدو أنّه توقف مدّة، ثم عاد للعمل في حقبة الاحتلال البريطانيّ، واستمرّ حتّى ستينيّات القرن الرّابع عشر الهجريّ/ ثلاثينيّات القرن العشرين الميلاديّ. ومن المسرحيّات الّتي عرضت في مسرح قهوة المعارف:

1. بعد إعلان الدستور العثمانيّ سنة (1326هـ/1908م) قام أساتذة مدرسة المطران (سان جورج) وخريجوها بالقدس بتمثيل روايتين على مسرح قهوة المعارف، وهما[67]:

أ. رواية صلاح الدين الأيوبيّ

شارك في تمثيلها: متري فراج، وقسطندي لبّاط، وحلمي الحسينيّ، وغيرهم، وقد غصّت قاعة مسرح قهوة المعارف بالمتفرّجين الّذين كانوا من الذكور فقط.

ب. مسرحية لصوص الغاب

مسرحيّة معربة للألمانيّ (فردريك ولهلم نيتشة)، وقد تمّ تمثيلها في أثناء الحرب العالميّة الأولى على مسرح قهوة المعارف، وقام بإخراجها والإشراف على تمثيلها قسطندي خوري، فيما شارك في التمثيل كلّ من: سابا شمّاع، وإلياس قطرجيّ، وإبراهيم جورج، وصليبا الجوزي. ولأول مرّة شاركت امرأة في التّمثيل هي الآنسة (إميلي) حيث مثّلت دور البطلة. ورصد ريع المسرحيّة لجمعيّة الصّليب الأحمر.

2. عرض المنتدى الأدبيّ الّذي تأسّس بالقدس سنة (1327هـ/1909م) برئاسة جميل الحسينيّ مسرحيّات عديدة على مسرح قهوة المعارف، ومِمّا تمّ عرضه سنة (1333هـ/1915م) مسرحيّات: صلاح الدين الأيوبيّ تأليف فرح أنطون، ومسرحيّة السموأل، ومسرحيّة طارق بن زياد، ومسرحيّة (لصوص الغاب)، وهي للكاتب الألمانيّ (فردريك نيتشة)[68].

---

[67] ينظر: نصري الجوزي، تاريخ المسرح الفلسطينيّ، ص 28؛ الموسوعة الفلسطينيّة: التمثيل المسرحي، ص 574.

[68] ينظر: فتحي عبد الرحمن، المختصر المفيد، ص32.

ولا شك لديّ في أنّ المنتدى الأدبيّ الّذي كان يرأسه-شرفيًّا-الملك فيصل الأول، عرض مسرحيّات وطنيّة، ومترجمة قبل سنة (1333هـ/1915م)؛ إذ كانت الحقبة حقبة صراع سياسيّ وثقافيّ.

سابعًا: أجناس المسرحيّات وموضوعاتها

يمكن الحديث عن ثلاثة أجناس من المسرحيّات كانت تمثِّل في فلسطين وهي:

1. المسرحيّات والرّوايات المترجمة عن اللّغات الأوروبيّة (فرنسا، وبريطانيا، وألمانيا، وإيطاليا) واللّغة الرّوسيّة.
2. المسرحيّات والرّوايات الوطنيّة، وقد ألّفها عدد من الكتّاب والمبدعين الفلسطينيّين لنشر المعرفة، وتهذيب الأخلاق، وغرس روح المقاومة للأطماع الاستعماريّة في فلسطين.

أمّا الموضوعات التي كانت تعالجها المسرحيّات والرّوايات، فقد عالجت المسرحيّات الأجنبيّة قضايا اجتماعيّة، وسياسيّة، وأخلاقيّة وفق رؤى الطائفة الدينيّة المشرفة على المدرسة أو الجمعيّة، أو النادي الّذي يتكفّل بالتّمثيل، فيما عالجت المسرحيّات والرّوايات الّتي مثّلها ممثلون وطنيون فلسطينيون، وفي مؤسّسات فلسطينيّة قضايا اجتماعيّة وسياسيّة مُستقاة من التّاريخ والتّراث العربيّ الإسلاميّ، ومن الدّين الإسلاميّ بهدف تأكيد دور الإرادة في الحفاظ على الكرامة، والعزّة، وأمجاد الأمّة.

وفضلًا عن ذلك فقد عالجت المسرحيّات والرّوايات المترجمة والوطنيّة موضوعات فكاهيّة وهزلية بهدف التّسلية والتّرويح، مع بعض القضايا الإنسانيّة.

ثامنًا: كُتّاب الرّوايات والمسرحيّات

لم تذكر الكتب التي استطعت العودة إليها في أغلب الأحيان تاريخ تأليف، أو ترجمة هذه الرّواية، أو المسرحيّة، أو تلك، ما جعل من الصعب عليّ تحديد أثر التّنظيمات العثمانيّة في التأليف المسرحيّ، أو الروائيّ، أو ترجمته في فلسطين.

ومن خلال البحث يُمكنني القول: إنّ فلسطين لم يتوافر لديها مسرحيّات، أو روايات تمثيليّة كثيرة في نهاية القرن الثّالث عشر وبداية القرن الرّابع عشر الهجريّ/ نهاية القرن التّاسع عشر وبداية القرن العشرين، حتّى نهاية الحرب العالميّة الأولى، وسقوط فلسطين بيد الاحتلال البريطانيّ، وأهم كتّاب المسرحيّة والرّواية التمثيليّة الفلسطينيّين هم:

1. إسكندر الخوري البيتجاليّ

عاش ما بين (1306 أو 1308 و1393هـ/ 1888 أو 1890 و1973م)، وقد ألّف رواية بعنوان "الحياة بعد الموت"، وهي رواية تاريخيّة غراميّة وقعت حوادثها في فلسطين خلال الحرب العالميّة الأولى، كما ألّف روايات أخرى، وترجم عن اللّغتين الروسيّة والفرنسيّة روايات عديدة لكن من دون معرفة أسمائها، أو تحديد تاريخها[69].

2. خليل بيدس

عاش ما بين (1291و 1368هـ /1874و 1949م) وقد ترجم روايات عديدة عن اللّغة الروسيّة وهي: ابنة القبطان لبوشكين سنة (1316هـ/1898م)، والقوزاقيّ الولهان في السنة ذاتها، وكذلك رواية الطبيب الحاذق. ثم ترجم سنة (1326هـ/1908م) رواية شقاء الملوك، وفي السنة التالية أي (1317هـ/1899م) رواية أهوال الاستبداد للكاتب الروسيّ (تولستوي). وفي سنة (1329هـ/1911م) ترجم عن الإيطاليّة رواية الحسناء المتنكرة[70].

3. نجيب نصار

عاش ما بين (1282 و1367هـ /1865 و1948م). وعلى الرّغم من أنّه ولد في لبنان إلّا أنّه عاش بفلسطين وتوفي فيها، وكتب عدة روايات منها: نجدة العرب أو وفاء العرب، وقد تمّ تمثيلها في: الناصرة وحيفا سنة (1337هـ/1919م)، ورواية مفلح الغسانيّ، وصف فيها ما

[69] ينظر: يعقوب العودات، من أعلام الفكر والأدب في فلسطين، ص63.

[70] ينظر: ن.م.، ص 69-71.

جرى له في الحرب العالميّة الأولى، كما روايات لم أستطع تحديد تاريخ كتابتها ومنها: شمم العرب، وفي ذمّة العرب، والأميرة الحسناء[71].

4. مؤلّفون مجهولون

بما أنّ أكثر المسرحيّات كان يتمّ تمثيلها في المدارس، فالأرجح عندي أنّ معلّمي اللّغة العربيّة أو غيرهم من المعلّمين المبدعين أسهموا بشكل أو بآخر في حركة تأليف المسرحيّات، والرّوايات التّمثيليّة، أو فصول مسرحيّة، أو روائية بهدف تمثيلها من قبل الطّلبة، ويؤيّد ذلك ما ذكره نصري الجوزي من أن إحدى معلّمات مدرسة (كلية شميدت) التّابعة للإرسالية الألمانيّة ساهمت في تأليف مسرحية قامت طالبات الكليّة بتمثيلها[72].

الخاتمة:

بعد أن أنهيت كتابة هذا البحث، توصّلت إلى عدد من النتائج والتّوصيات، وأهمها:

أولاً: النّتائج

1. أسهمت التّنظيمات العثمانيّة بطريقة مباشرة وغير مباشرة في نشوء المسرح الفلسطينيّ، فقانون التّعليم، الّذي منح الطّوائف الدّينيّة المختلفة والإرساليات التّبشيريّة حقّ إنشاء مدارسها الخاصّة، أسهم في ظهور المسرح المدرسيّ في مدارس الطّوائف، والإرساليات التبشيريّة، والمدارس الوطنيّة، والمدارس الرّسميّة على حدٍّ سواء، أمّا قانون تشكيل الولايات فقد سمح بتشكيل مجالس بلدية في المدن الكبيرة، وكان من مهام مجالسها البلديّة تقديم خدمات متنوّعة للمواطنين، ومنها: الخدمات التّرفيهيّة، كما سمح هذا القانون بإقامة جمعيّات ونواد ثقافيّة، وأدبيّة، واجتماعيّة، وهذه كان لها دور في إنشاء مسارح والسّماح بتمثيل روايات وطنيّة وأجنبيّة عليها.

[71] ينظر: يعقوب العودات، من أعلام الفكر، ص 635.

[72] ينظر: ن.م.، ص 15.

2. بناء على ما سبق ظهر ثلاثة أنواع من المسارح هي: المسارح المدرسيّة، والمسارح العامّة، والمسارح الاستثماريّة.
3. كان للمسرح في فلسطين نشأتان؛ الأولى دينيّة مسيحيّة حدّدت بدايتها المستشرقة (تمارا بوتيتسيفا) بسنة (1250هـ/1834م)، ولا شكَّ لديّ في وجود مسرح دينيّ إسلاميّ تمثّل باحتفالات بعض الطّرق الصوفيّة في بعض المناسبات الدّينيّة الإسلاميّة مثل المولد النبويّ الشّريف، وما كانت تقوم به المولويّة في بعض احتفالاتها. والثانيّة المسرح على النّمط الأوروبيّ تعود إلى سنة (1260هـ/1851م)، وهذه بدأت في مدارس الإرساليات التبشيريّة المسيحيّة، ثمّ انتقلت إلى المدارس الإسلاميّة، والمدارس الرّسميّة العثمانيّة.
4. تناولت المسرحيّات والرّوايات التمثيليّة الّتي كانت تُمثّل على المسرح في فلسطين قضايا مختلفة؛ فالممثّلون في المسارح الوطنيّة مثّلوا مسرحيّات وروايات تمثيليّة وطنيّة تهتم بتاريخ الأمّة وأمجادها، فيما الممثّلون في مسارح مدارس الطّوائف المسيحيّة، والإرساليات التبشيريّة مثّلوا-غالبًا-مسرحيّات وروايات تمثيليّة أجنبيّة (مترجمة أو مقتبسة منها) عالجت قضايا اجتماعيّة وسياسيّة وأخلاقيّة وفق رؤى الطائفة الدينيّة الّتي تتبعها المؤسّسة الّتي تُمثّل فيها المسرحيّة، وفي بعض الأحيان عرضت المسارح الوطنيّة، ومسارح مدارس الطوائف والإرساليّات التبشيريّة مسرحيات تناولت قضايا فكاهيّة بهدف التسلية والتّرفيه.
5. المسارح لدى المدارس الوطنيّة والجمعيّات والنوادي الوطنيّة كانت أقل تأهيلاً ماديًّا من نظيرتها الأجنبيّة.

ثانيًا: التّوصيات

ضرورة مراجعة ما كتب عن نشأة المسرح الفلسطينيّ، وعلاقته بالتّراث الأدبيّ العربيّ، وبخاصّة ما ورد في الموسوعة الفلسطينيّة بهدف إزالة الغموض، والتّضارب الموجود فيما كتب عن المسرح بعامّة، ونشأته بخاصّة.

المصادر والمراجع

أنيس، محمد. **الدولة العثمانيّة والشّرق العربي 1514–1914م**. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، 1981م.

إحسان أوغلي، أكمل الدين. **الدولة العثمانيّة: تاريخ وحضارة**. ترجمة صالح سعداوي. إستانبول: مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلاميّة (سلسلة الدولة العثمانيّة تاريخ وحضارة: 3) منظمة المؤتمر الإسلامي، 1999م.

بشّور، نجلاء بصير. "أدب الاطفال الفلسطينيّ." في **الموسوعة الفلسطينيّة**. القسم الثاني (الدراسات الخاصة). المجلد الرابع (دراسات الحضارة). ط.1. بيروت: د.ن، 1990م.

بوتيتسفا، تمارا إلكسندروفا. **ألف عام وعام على المسرح العربي**. ترجمة توفيق المؤذن. ط.1. بيروت: دار الفارابي، 1981م.

الجوزي، نصري. **تاريخ المسرح الفلسطينيّ 1918-1948م**. دمشق: الهيئة العامة السورية للكتاب - وزارة الثقافة، (دراسات في الأدب العربي: 15)، 2011م.

الحبازي، مشهور. "شعر قهوة البن في القرن العاشر الهجريّ/ السادس عشر الميلاديّ: دراسة موضوعية." **مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات**، العدد الأول، رمضان 1423هـ/ تشرين الأول 2002م، القدس: المطبعة العربية الحديثة.

حسون، علي. **تاريخ الدولة العثمانيّة وعلاقاتها الخارجية**. ط.3. بيروت: المكتب الإسلامي، 1415هـ/1994م.

حلّاق، حسان. **تاريخ الشعوب الإسلاميّة الحديث والمعاصر**. ط.1. بيروت: دار النهضة العربية، 2000م.

الخطيب، حسام. "حركة الترجمة الفلسطينيّة في القرن العشرين حتّى عام 1985." في **الموسوعة الفلسطينيّة**، القسم الثاني (الدراسات الخاصة)، المجلد الرابع (دراسات الحضارة). ط.1. بيروت: د.ن.، 1990.

رافق، عبد الكريم. "فلسطين في عهد العثمانيّين من مطلع القرن الثالث عشر الهجريّ/ التاسع عشر الميلاديّ إلى العام 1336هـ/1918م." في **الموسوعة الفلسطينيّة**. القسم الثاني (الدراسات الخاصة). المجلد الثاني (الدراسات التاريخية). ط.1. بيروت: د.ن.، 1990.

الزركلي، خير الدّين. **الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرّجال والنّساء من العرب والمستعربين والمستشرقين**. ط.11. بيروت: دار العلم للملايين، 1995م.

زيدان، جرجي. **تاريخ آداب اللّغة العربية**. القاهرة: دار الهلال، د.ت.

السكاكيني، خليل. **كذا أنا يا دنيا**. القدس: المطبعة التجارية، 1955م.

أبو الشباب، واصف. "القصة والرواية المسرحية في فلسطين 1900-1948". **الموسوعة الفلسطينيّة**. القسم الثاني (الدراسات الخاصة)، المجلد الرابع (دراسات الحضارة). ط.1. بيروت: د.ن.، 1990م.

شولش، إلكزاندر. "القدس في القرن التاسع عشر (1831–1917م)." **القدس في التاريخ**، حرّر الطبعة الإنجليزية وترجمها كامل جميل العسلي، عمّان: منشورات الجامعة الأردنية، عمادة البحث العلمي (92/2)، 1413هـ/ 1992م.

صابان، سهيل. **المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانيّة التاريخية**. الرياض: مكتبة فهد الوطنية، 1421هـ/2000م.

العارف، عارف. **نكبة فلسطين والفردوس المفقود 1947-1952م**. د.م: دار الهدى، 1956م.

عبد الرحمن، فتحي. **المختصر المفيد في المسرح العربي الجديد: المسرح في فلسطين**. ط.1. الشارقة: الهيئة العربية للمسرح-الأمانة العامة، 1430هـ/ 2009م.

العسلي، كامل جميل. "التّعليم في فلسطين من الفتح الإسلاميّ حتّى بداية العصر الحديث." في **الموسوعة الفلسطينيّة**. القسم الثاني (الدراسات الخاصة)، المجلد الثالث (دراسات الحضارة). ط.1. بيروت: د.ن.، 1990م.

العودات، يعقوب. **من أعلام الفكر والأدب في فلسطين**. ط.3. القدس: دار الإسراء، 1992م.

غنايم، زهير.

أ -**لواء عكا في عهد التّنظيمات العثمانيّة 1281-1337/1864-1918**. ط.3. رام الله: مؤسسة الدراسات الفلسطينيّة (سلسلة المدن الفلسطينيّة: 4)، 2011م.

ب -ولاية بيروت في فترة التّنظيمات: دراسة في الأوضاع الإدارية والاقتصادية والثقافية: في محمد عدنان البخيت ومحمد يونس مرزوق (تحرير). **بحوث في تاريخ بلاد الشام في العصر العثمانيّ**. عمّان: منشورات لجنة تاريخ بلاد الشام، الجامعة الأردنية، جامعة اليرموك، 1992م.

غنيم، كمال. **المسرح الفلسطينيّ: دراسة تاريخية نقدية في الأدب المسرحي**. ط.1. القاهرة: دار الحرم للتراث، 2003م.

فريد بك المحامي، محمد. **تاريخ الدولة العلية العثمانيّة**. بيروت: دار الجيل، 1397هـ/ 1977م.

كرد علي، محمد. **خطط الشام**. ط.3. دمشق: مكتبة النوري، 1403هـ/1983م.

كواترت، دونالد. **الدولة العثمانيّة 1700-1922**. ترجمة أيمن أرصنازي. ط.1. الرياض: مكتبة العبيكان، 1424هـ/2004م.

الملاح، ياسر. **صفحات مطويات من تاريخ المسرح الفلسطينيّ: دراسة أدبية.** ط.1. الخليل: جمعية العنقاء الثقافية، 2002م.

الموسوعة العربيّة العالميّة. ط.2. الرّياض: مؤسّسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، 1419هـ/ 1999م.

الموسوعة الفلسطينيّة، التّمثيل والمسرح. القسم العام المجلد الأول (أ-ث). ط.1. دمشق: د.ن.، 1984م.

الموسوعة الفلسطينيّة: الجمعيّات الأدبية. القسم العام (المجلد الثاني ج-ش). طبعة جديدة مزيدة ومنقحة. د.م.: د.ن.، 1996م.

نجم، محمد يوسف.

أ -**المسرح العربي: دراسات ونصوص، مارون النّقاش**. بيروت: دار الثقافة، 1961م.

ب -**المسرحية في الأدب العربي الحديث: 1847-1914**. (دراسات في الأدب العربي الحديث: 2). بيروت: دار بيروت، 1956م.

ياسين، عبد القادر. "الصّحافة العربية في فلسطين." في **الموسوعة الفلسطينيّة**. القسم الثاني (دراسات خاصة). المجلد الرابع (دراسات الحضارة). ط.1. بيروت: د.ن.، 1990م.

ياغي، عبد الرحمن. **في الجهود المسرحية الإغريقية الأوروبيّة العربية من النقاش إلى الحكيم**. ط.1.، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1400هـ/1981م.